سلسلة محاضرات مقياس "المسرح العربي"

السداسي الخامس – تخصص فنون درامية

إعداد :د. بولنوار مصطفى **المحاضرة الثانية :**الاقتباس في المسرح العربي (الإشكاليات النظرية والتطبيقات الركحية)

تمهيد: الاقتباس بين التبعية والإبداع

يقتضي منا الحديث عن ظاهرة **الاقتباس** في المسرح العربي عامة، والمغاربي خاصة، الوقوف بحزم أمام المصطلح الذي شكل -وإلى وقت قريب- ظاهرة مسرحية شديدة الانتشار وموضوعاً بالغ الحساسية. فقد أثير حوله نقاش نقدي حاد انقسم بين من يراه "تبعية ثقافية" وعجزاً عن الإبداع الأصيل، وبين من يراه "ضرورة حضارية" وجسرًا عبرت عليه الشعوب العربية نحو الحداثة المسرحية.

إن الاقتباس في جوهره لم يكن مجرد عملية سطو على نصوص الآخر، بل كان آلية لـ "تبيىء (Localization) "الظاهرة المسرحية في تربة لم تعرف المسرح بشكله الأرسطي، مما جعله أداة فعالة للتواصل مع الجمهور المحلي عبر "لبوس" مألوف.

أولاً: التأصيل اللغوي والاصطلاحي

أ. الاقتباس لغةً:

تجمع معاجم اللغة العربية (مثل لسان العرب) على أن الجذر اللغوي (قبس) يحيل إلى النور والعلم. فالفعل "قبس" يعني "أخذ شعلة من النار". يقال: "قبس قبساً من العلم" أي تعلمه واستفاده، و"أقبس فلان العلم" أي علمه إياه. ومنه قيل لمن أخذ العلم من عالم "مقتبس"، و"القوابيس" هم الذين يقبسون الناس الخير أي يعلمونهم.

- **الدلالة** :يحمل المعنى اللغوي دلالة إيجابية توحي بالاستنارة ونقل المعرفة، مما يرفع عن الاقتباس صفة "السرقة" المذمومة، ليضعه في خانة "نقل الشعلة" الحضارية.

ب. الاقتباس اصطلاحاً:

استخدم مصطلح الاقتباس لسنوات عديدة في مجالات الأدب والمسرح والسينما. وقد عرفت الكلمة منذ تداولتها الأقلام العربية انزياحات دلالية متعددة:

1. **المعنى الضيق** :إدخال المؤلف كلاماً منسوباً للغير في نصه بقصد التحلية أو الاستدلال، أو تضمين الكلام (نثراً أو شعراً) شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث النبوي مع السماح بقليل من التغيير.
2. **المعنى الواسع (الفني)** :هو الإعداد والتهيئة(Preparation/Adaptation) ، أي "إعادة سبك عمل فني لكي يتفق مع وسيط فني آخر" أو بيئة ثقافية أخرى.

في هذا السياق، يقع الاقتباس تحت خانة **"التضمين"**، بحيث يكون النص الجديد وليد نص آخر سابق عليه. إنها عملية "مخاض لنص أصلي ينتج عنها نص قد يحمل نفس الأفكار وقد يناقضها، وقد تكون للنصين نفس النهاية، وربما يجد المقتبس لنفسه نهاية جديدة تتماشى وما ينشده من هدف الكتابة."

في المسرح تحديداً :يتميز الاقتباس المسرحي بأن "أهداف الكاتب المسرحي (المقتبِس) قد تحل محل أهداف المؤلف الأصلي". ولأن القصة أو الرواية قلما تصلح للنقل المسرحي الحرفي، فإن الاقتباس يبيح للكاتب قدراً من الحرية إزاء العقدة والشخصيات، مما يجعله شريكاً في الإبداع لا مجرد ناقل.

ثانياً: الاقتباس ونظرية التناص(Intertextuality)

لا يمكن فهم الاقتباس الحديث دون العودة إلى المرجعيات النقدية الغربية، وتحديداً لحظة ظهور مصطلح **"التناص** "على يد الناقدة **جوليا كريستيفا (Julia Kristeva)** عام 1966 في مجلة *Tel Quel* الفرنسية.

١ .المفهوم الكريستيفي:

جاء هذا المفهوم في أعقاب ظهور السيميائية، حيث قرنت كريستيفا بين "النص " (Texte) و"التناص (Intertextuality) "، قائلة:

"كل نص عبارة عن فسيفساء من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى".

هذا التعريف ينفي وجود "نص عذري" أو بريء تماماً؛ فكل كاتب يغرف -بوعي أو بدون وعي- من مخزون النصوص السابقة. وبذلك، يصبح الاقتباس المسرحي عملية "ولادة" لنص جديد من رحم نص قديم، قد يشبهه في الفكرة ويخالفه في التوجه، أو يلبسه ثوباً جديداً ونهاية مغايرة تخدم "الآن وهنا (Hic et Nunc) "الخاصة بالجمهور المتلقي.

٢ .أقسام التناص (وعلاقته بالاقتباس):

يمكن تقسيم التناص في العمل المسرحي إلى مستويين رئيسيين:

- **أ- التناص الظاهر (الاقتباس الواعي/الشعوري)** :وهو ما يدخل صراحة ضمن باب "الاقتباس" و"التضمين". هنا، يكون المؤلف واعياً تماماً بحضور النص الأصلي، وقد يعلن عنه (كما فعل **عبد القادر علولة** عندما ذكر صراحة اقتباسه عن غوغول في "مذكرات حمق"، أو عن شو صن شن في "النقود الذهبية .("
- **ب- التناص اللاشعوري (الخفي)** :هو اقتباس ضمني قد لا يعيه الكاتب لحظة الكتابة. إنها الأفكار والصور التي تبلورت في "اللاشعور (Unconscious) "جراء قراءاته المتراكمة. يسميه النقاد "تناص الخفاء"، وفيه يحدث "تذويب وتحويل

وتفاعل نصي" دون إحالة مرجعية مباشرة. في التحليل النفسي الفرويدي، يشبه هذا ما يخرج من "الهو (Id) "أو المخزون المكبوت والكامن من المعارف ليظهر في سلوك الكتابة.

ثالثاً: أنواع الاقتباس في المسرح العربي (مع نماذج تطبيقية)

يمكن تصنيف الاقتباس في الممارسة المسرحية العربية، استناداً إلى درجة التصرف في النص الأصلي، إلى أربعة أنواع رئيسية:

١ .اقتباس الفكرة:(Adaptation of the Idea)

يأخذ الكاتب "العمود الفقري" أو "الثيمة (Theme) "من النص الأصلي، ثم ينسج حولها أحداثاً وشخصيات من بيئته المحلية.

- **نموذج تطبيقي** :مسرحية **"النقود الذهبية** (1967) "لعبد القادر علولة. اقتبس الفكرة من أوبرا صينية لـ "شو صن شن" (15 خيطاً من النقود)، حيث تدور التيمة حول "العدالة والظلم" عبر قاضيين. احتفظ علولة بالفكرة (صراع العدالة) لكنه أسقطها على الواقع الجزائري الاشتراكي آنذاك .

٢ .اقتباس الشخصية:(Character Adaptation)

يستعير الكاتب "مواصفات" شخصية عالمية شهيرة (البخيل، الغيور، المنافق، الدونجوان) ويعيد خلقها بملامح محلية.

- **نموذج تطبيقي** :مسرحية **"سي قدور المشحاح** (1966) "لعلال المحب. هنا تم اقتباس شخصية "أرباغون (Harpagon) "من مسرحية "البخيل" لموليير. لم يترجم النص حرفياً، بل حول الشخصية إلى "سي قدور"، البخيل الجزائري الذي يتحدث الدارجة ويمارس بخله وفق طقوس اجتماعية جزائرية بحتة، مما جعل الجمهور يشعر أن الشخصية "منه وإليه ."

٣ .اقتباس شكلي:(Formal Adaptation)

يندرج تحت نمط وأسلوب الكتابة أو التوجه الفني، وليس بالضرورة المضمون.

- **نموذج تطبيقي** :استخدام **"تقنية التغريب** (V-effekt) "البريشتية في المسرح العربي. عندما يكتب سعد الله ونوس أو علولة نصوصاً تعتمد على "كسر الإيهام" ومخاطبة الجمهور مباشرة، فهم يقتبسون "الشكل" و"المنهج" البريشتي، حتى لو كانت القصة من التراث الشعبي العربي (كما في "حمام رومان" أو "الأجواد").

٤ .اقتباس جزئي:(Partial Adaptation)

يتم من خلال تجسيد قول مأثور، أو حدث تاريخي، أو مشهد معين، أو فكرة عابرة داخل نص جديد، بهدف إحداث تأثير يختلف عن سياقه الأصلي (إعادة توظيف).

- **نموذج تطبيقي** :توظيف الأمثال الشعبية أو أبيات الشعر العربي القديم (المتنبي، المعري) داخل نصوص مسرحية معاصرة لإسقاطها على الواقع السياسي الراهن (كما فعل دريد لحام ومحمد الماغوط في "كاسك يا وطن" أو "ضيعة تشرين").

قائمة المراجع المعتمدة للمحاضرة:

1. **أبو الحسن عبد الحميد سلام** :*حيرة النص المسرحي بين الترجمة والاقتباس والإعداد والتأليف*، مركز الإسكندرية للكتاب، 1993. (مرجع أساسي لضبط المصطلحات).
2. **ابن منظور** :*لسان العرب*، المجلد 03، دار لسان العرب، بيروت (للتأصيل اللغوي).
3. **سوني رحمة** :*ظاهرة الاقتباس في المسرح الجزائري*، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2004. (للتطبيق على النموذج الجزائري).
4. **روجر بسفيلد** :*فن كتابة المسرحية*، ترجمة دريني خشبة، القاهرة، 1964.

5. **Julia Kristeva:** *Séméiôtiké: Recherches pour une sémanalyse,* Seuil, Paris, 1969. (لمصطلح التناص.)

6. **عبد الله الغذامي** :*الخطيئة والتكفير*، النادي الأدبي الثقافي، جدة.